مجلة المختار للعلوم الإنسانية
Al-Mukhtar Journal of Social Sciences
40 (2): 351-369, 2022
eISSN: 2791-1608
الصفحة الرئيسية للمجلة: https://omu.edu.ly/journals/index.php/mjssc/index

الخُرافة الشعبية: رؤية في تأصيلها ووظيفتها السوسيولوجية

مستور حماد ارحيم [1]*

استاذ علم الاجتماع المشارك جامعة العين – الامارات.

DOI: https://doi.org/10.54172/mjssc.v40i2.1053

المستخلص: استدل الباحثون على أن أساس الحكايات الشعبية من خلال ما تميزت به من خصائص مكونة لها، كونها ركزت على بعد واحد في القصة وأهملت بقية الأبعاد، وعادة ما تكون القصة سطحية ومتكاملة الأحداث ومنفصلة عن الحياة الواقعية ومعتمدة على السرد التصويري. ومما لا شك فيه ان لهذه الحكايات أو الخرافات او الاساطير لها اصل والا لما صح لها ان تحيا في عقول الناس ويتم تداولها من جيل الى اخر. لذلك ومن هذا المنطلق تقع هذه الدراسة ضمن محاولة تأصيل أو تأطير الحكاية الشعبية أو الخرافة. فهل اساسها ديني غيبي، أو أنثربولوجي ثقافي أو ربما أيديولوجي عقائدي فكري، أو ربما نوع من أنواع الخيال الاجتماعي المسخر لتفسير بعض الاحداث المعاشة. يكمن هدف هذا البحث في التعرف على التأصيل والتأطير السوسيولوجي للخرافة وما هيتها ووظيفتها، وقد اتخذنا من المنهج التحليلي للمضمون الذي تتضمنه هذه الخرافات، وذلك بسردها في مهدها او في المجتمع الذي يتم تداولها فيه. ويمكن ان نقول بأننا خلصنا إلى أن اللجؤ إلى الخرافة يُعد نوعاً من الهروب وتعويض الإخفاق في مجابهة عجز الناس عن تفسيره، فالأسطورة والتراث المقدس شكلا منطق الخيال الجامح، الذي يستوعب مختلف أشكال الصراع الإنساني، ويدرك رمزياً حقائق الحياة، فكان اللجوء إلى توظيفهما هروباً من وضع تاريخي متأزم، إلى عالم خيالي، وفره التراث من قصص وحكايات حول ابطال وملاحم لم نستطع ان نجسدها في الواقع المُعاش، وربما ما يمكن أن يكون عيبا تعاني منه مجتمعاتنا العربية، وهو الا استمرار في القطيعة مع الموضوعية، والتمسك بالماضي وقيمه والتباكي عليه، فقد أدى هذا في الاستمرار في البحث عن المفقود سواء في المعجزات او الخوارق التي تنقذنا من الاوضاع المزرية

الكلمات المفتاحية: الخرافة، الحكاية الشعبية، الاسطورة، الثقافة.

The Folktale: Its Origin and Sociological Function

Mastur Rehim [1]*

Abstract: Based on its constituent characteristics, researchers figure out that the folk tales focus on one dimension in their stories and neglect the rest of the dimensions. Usually, the story in a folk tale is superficial and involves integrated events based on depictive narratives but it is usually disconnected from reality. There is no doubt that folk tales, myths and fables have origins otherwise they would not have survived in people's minds and would not have been passed on from one generation to another. Therefore, the objective of this study is to identify the nature,

*Corresponding author: E-mail addresses: mastur.rehim@aau.ac.ae.

© للمؤلف (المؤلفون)، يخضع هذا المقال لسياسة الوصول المفتوح ويتم توزيعه بموجب شروط ترخيص إسناد المشاع الإبداعي CC BY-NC 4.0

function and root of the folk tale as being metaphysical, religious, anthropological, ideological, intellectual, or perhaps just a product of social imagination to explain some of the experienced events. In this study, the analytical approach is adopted to analyze the content of sample folk tales in their social contexts. The study findings indicate that people's resort to folk tales is a kind of escape from their failures and a compensation for their inability to confront or explain them. Thus, folk tales and highly respected tradition have formed the logic of people's extreme imagination of all aspects of their struggle in life. This imagination has provided a way out for people from the tensions of their history through the imaginary employment of fables and folk tales about heroes and legends to compensate for what they could not achieve in their reality. Perhaps the problem that Arab societies suffer from is the unobjective adherence to and regret of the past and its values, which made these societies search for what they miss through miracles or paranormalities that may rescue them from their miserable conditions.

Key words: Myth, Folktale, Legend, Culture, Imagination

موضوع البحث واشكاليته:

إن الخُرافة الشعبية او (الخرّافة) بتشديد الراء كما في بعض مجتمعات شمال افريقيا أو (الخروفة) بفتح الخاء كما في مجتمعات الخليج العربي، وعلى اختلاف لهجات المجتمعات العربية فهي حكايات يمكن أن نعتبرها خيالية أو اسطورية، وهي في الغالب إما أن تفسر ظاهرة أو تؤدي وظيفة على الصعيد الاجتماعي، أو الاقتصادي أو الثقافي. فهي تلك الحادثة القديمة المحفوفة بالمبالغات، وتفيد الخرافات أحيانا الأقاويل المنمقة المزخرفة التي لا نظام لها، حتى أنها تشبه الكلام الباطل. وهي تتناول مختلف النشاطات الاجتماعية من أدبية وحربية وصناعية ودينية، وقد وردت في اللغة الفرنسية والانجليزية بمعنى الحادث أو الحادثة ففي الفرنسية (Histoire) وفي الإنجليزية بمعنى (Story, Tale)، وقد اتخذت الأسطورة معنى الحكاية، سواء أكان لها أصل مبالغ أم لم يكن لها أصل، وزيدت الألف في أول الكلمة لتسهيل اللفظ لأن العرب تأبى لفظ الحرف الساكن كما الحال في كلمة أفلاطون. وكلمة أسطورة من الفعل سطر. وقد ورد تعريف مفصل لهذا الفعل ومشتقاته في لسان العرب (يقال بنى سطراً وغرس سطراً) والسطر الخط والكتابة، قال الزجّاج في قوله تعالى: «وقالوا أساطير الأولين» خبر لإبتداء وحذف المعنى وقالوا الذي جاء به الأولين معناه سطره الأولون. ومفرد الأساطير أسطورة، كما قالوا أحدوثة وأحاديث وسطر يسطر إذا كتب. ويقول الله في كتابه العزيز: «والقلم وما يسطرون» أي وما تكتب الملائكة، وقد سطر الكتاب بسطره سطراً وسطره وأسطره. **(حسن، 1998، ص 16)**، وقال الأزهرى ما حكاه الضرير عن الأعرابى: اسطر اسمى، أي جاوز السطر الذي هو فيه. وإسطاره بالكسر، واسطير واسطرة وأسطور وأسطورة بالضم إذا جاء بالأحاديث تشبه الباطل : يقال هو يسطر ما لا أصل له، أي يؤلف. ويقال سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها. وفى تاج العروس فقد أورد الزبيدى عن الأسطورة، ما معناه يقال هو يسطر مالا أصل له أي يؤلف. ويقال سطر فلان بسُطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، وفى حديث الحسن سأله الأشعث عن شيء من القرآن، فقال له والله إنك تسطر على بشـئ أي ما تروّج. (الزبيدي، ج12، ص 26). وقد قال بعض اللغويين القدامى في تخريج هذه الكلمة مذاهب شتى. فأبوعبيدة عالم اللغة الشهير (ت210 هـ) يعتبر أن صيغتها هي صيغة منتهى الجموع، فأساطير عنده جمع أسطار وأسطار جمع سطر. كما ذهب أحد المستشرقين إلى أن "أسطورة" قريبة الصلة بقرينتها في اليونانية واللاتينية "إستوريا Historia" بمعنى أنها أخبار تؤثر عن الماضين لاسيما أن «أساطير الأولين» وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى في سور مكيّة وفي سياق جدل واحتجاج بين النبى وكفار قريش لأنهم اعتبروا تلك الأخبار من الأوهام والأباطيل. **(حسن، 1998، ص 16)**

اهداف البحث :

يكمن هدف هذا البحث في التعرف على التأصيل والتأطير السوسيولوجي للخرافة وما هيتها ووظيفتها، ويمكن ان نذكر بعض الاهداف الفرعية لهذا الهدف الرئيسي كما يلي:

- التعرف على اصل الخرافة أو الحكاية الخرافية الشعبية ومحاولة البحث في بروزها

- التعرف على الوظائف الثقافية والاجتماعية والتربوية للخرافة الشعبية

اهمية البحث

تتجسد اهمية هذا البحث في كونه يهتم بدراسة قضايا نعايشها بشكل يومي ولا نعلم بمدى صحتها، وأن مثل هذه الدراسات لها اهمية في اثراء الكم المعرفي خاصة فيما اذا تناولت الكثير من القصص والحكايات والخرافات الشعبية التي يتكرر سماعها بشكل يومي. لذلك وجب الانتباه إلى فهمها ومعرفتها والتعرف على خباياها.

منهج البحث

سوف نتبع المنهج التحليلي، وذلك كتحليل للمضمون الذي تتضمنه هذه الخرافات، وذلك بسردها في مهدها او في المجتمع الذي يتم تداولها فيه، والتعرف من خلال الثقافة الحاضنة لها على وظائفها والفترة التاريخية التي تم تداولها فيه اذا ما تيسر ذلك.

الخرافة: للحديث عن هذا المفهوم او المصطلح لابد من الحديث عن الاسطورة، فهي تلك الحادثة القديمة المحفوفة بالمبالغات التي لا يمكن تصديقها في غالب الاحيان، فهي تعني أيضا الأقاويل المنمقة المزخرفة التي لا نظام لها، حتى انها تشبه الكلام الباطل، وهي تتناول مختلف النشاطات الاجتماعية من أدبية وحربية وصناعية ودينية. في الغالب تعتبر الاسطورة او الخرافة بالنسبة للمجتمع الذي تداولت فيه انها وقعت حقا وصدقا، تخبر عن حقيقة من الحقائق لا مجال للشك فيها. كما أنها تصور علاقة انسجام بين الإنسان والكون. فالكون ليس كتلة مبهمة أو مستغلة مستعصية على الفهم ،بل عالم حى زاخر بالحياة يتحدث عن الإنسان عبر تجليه في الأساطير وعبر تعاقب الليل والنهار والفصول والولادة والبعث في تناغم بين الإنسان والكون والمجتمع. ومن هنا يمكن أن نقول أن الأسطورة هي قصة حقيقية خيالية في نفس الوقت. قد يبدو التعريف غير متناسق أو غير منطقى. فكيف يكون الشئ حقيقيا وخياليا في نفس الوقت.الأسطورة قصة حقيقية.إذ أنها تحتوى على عنصر الحقيقة.

فلابد أن يكون هناك عنصر حقيقى في كل أسطورة .فعلى سبيل المثال حينما نتحدث عن أسطورة طروادة (Troy).

إننا نتحدث عن حقيقة تاريخية. فلقد ثبت بالدليل القاطع أن حروباً طاحنة قامت بين مدينة طروادة الواقعة في آسيا الصغرى والممالك الإغريقية الواقعة في جنوب القارة الأوربية، ولقد أثبتت الدراسات التاريخية والأدبية أن تلك الحروب قامت لأسباب اقتصادية أو سياسية. كما أكدت الحفريات الأثرية وجود آثار تدمير مدينة طروادة بأسلحة الإغريق أكثر من مرة.-أسطورة طروادة- إذن تحتوى على عنصر الحقيقة التاريخية ثم تأتى بعد ذلك أجيال متعاقبة متعددة. يحاول كل جيل أن يضيف بعض التفاصيل إلى القصة التاريخية. قد يتخيل البعض أن سبب الحرب هو اختطاف هيلينى الإغريقية وهروبها مع أمير طروادة. وقد يتخيل البعض الآخر أن السبب هو غضب الآلهة من أهل طروادة. وقد تتخيل مجموعة ثالثة أن السبب هو رغبة الآلهة في تمجيد ذكرى بعض الأبطال الإغريق، وغير ذلك من التفسيرات المختلفة لأسباب قيام الحرب وتفاصيل مراحل تطورها. هذا وسوف نحاول ذكر بعض الخرافات أو الخراريف أو الحكايات الشعبية في مجتمعنا العربي ومحاولة تأطيرها سوسيولوجياً.

حقيقة الاسطورة

الأسطورة هي قصة تقوم على عنصر حقيقى. هذا العنصر هو مركز الأسطورة. ثم تأتى الأجيال المتعاقبة لتتناول تلك القصة الحقيقية وتغلف ذلك المركز الحقيقى بقشور هي في الحقيقة من بنات أفكار تلك الأجيال أو معتقداتها،(**عبد المعطي، 2002، ص 6**) وهو ما يضيف عليها نوع من البهرجة التي تخدم اغراض الثقافة المعاشة كالتمسك بالارض او الدفاع عنها او تقديس وتخليد ذكرى بطل معين، او للتعبير عن طاعة الألهة او غير ذلك. فإذا حاول الدارس للأسطورة أن ينزع تلك القشور واحدة بعد الأخرى فإنه سوف يصل بلا شك إلى عنصر الحقيقة التي تكونت منه الأسطورة في الأصل. وهناك مثال آخر يرجح هذا الرأى. فهناك أسطورة تقول إن أوكيانوس يعشق سيلينى. وأوكيانوس هو إله البحر أو المحيط، وسيلينى هي إلهة القمر. تروى الأسطورة أن إله البحر أو المحيط عشق إلهة القمر سيلينى الفتاة ذات الوجه الجميل الباسم. لكن إلهة القمر لم تبادله حباً بحب. كلما كان البحر يسعى إليها بأمواجه العالية كانت سيلينى تفر منه وتختفى في الأفق البعيد. قد تبدو هذه الأسطورة قصة خيالية بعيدة كل البعد عن الواقع. فكيف يعشق البحر القمر؟ لكن الاكتشافات العلمية اثبتت وجود علاقة مباشرة بين ظاهرة طبيعية تعرف بظاهرة المد والجزر وظهور القمر في مرحلة الاكتمال أو كما نسميه في مرحلة البدر. فعندما يظهر القمر في مرحلة البدر يبدو كما لو كان وجه فتاة مبتسمة. ويتسبب

ظهوره في إرسال آشعة معينة تؤثر على حركة مياه البحر ويحدث ما يعرف بحركة المد. وعندما يختفى البدر في الأفق البعيد يزول تأثير هذه الآشعة فتنحصر مياه البحر ويحدث ما يعرف بحركة الجزر. (**شعراوي، 2001، ص 6**). من هنا يمكننا أن نؤكد بأن الأسطورة تحتوى على عنصر الحقيقة العلمية التي لم يستطع الرجل البدائي أن يصل إلى تفسيرها بالطرق العلمية فصاغها في أسطورة. ربما هذا نوع من محاولة ايجاد رابط ما بين متغير وحدوث ظاهرة معينة. وقد حاول الكثير من القدماء نسج الكثير من هذه القصص لتفسير ظاهرة ما، وهو ما أشار إليه الكثير من الفلاسفة في البحث عن الحجة او السبب وبدأ ذلك بالمرحلة الميتافيزيقية التي اشار إليها عالم الاجتماع الفرنسي اوجست كونت عندا وضع قانون الحالات الثلاث الذي يرئ فيه ان المرحلة الثانية التي مر بها العقل البشري هي التفكير الغيبي الميتافيزيقي الذي يُفسر الكثير من الظواهر الى امور غيبية غير مرئية!

وتحمل الاسطورة في طياتها تاريخ لأنها تذكر أحداث تاريخية وقعت بالفعل، فالمستغرب فيها والذي لا يمكن ان يؤيده العقل كونها تحمل غموض لا يمكن قياسه بالعقل ولكن كما اسلفنا فهي تحمل حقيقة واقعية بجانب ذلك، وهي الدين تبعا لذلك، والمعرفة لأنها تخبر بأصل الموجودات بدءاً من الكون إلى المؤسسات الإنسانية وكيف ظهرت. وهي الأخلاق إذ هي تقدم من خلال التاريخ والدين والمعرفة نموذجا ومثلا أعلى للتصرف والسلوك يتم إحياؤه وإخراجه إلى حيز الوجود من خلال حفظ الأسطورة قولاً وفعلاً، أي من خلال المناسك والشعائر وضمان استمرارها. فالأسطورة هي في واقع الأمر قصة حقيقية عند بداية ظهورها، ثم تم إضافة إليها بعض التفاصيل فتبدو بعد ذلك خيالية في نظر الأجيال التالية، وهي كذلك في ذات الوقت.

الاسطورة والخرافة:

إنه مما لاشك فيه أن الخرافة على صلة كبيرة مع الأسطورة بل إنها لتستوى معها أو تكاد، ولم ترد كلمة خرافة في القرآن الكريم مثل كلمة أسطورة. والخرافة تعرف في معاجم اللغة العربية بأنها «الحديث المُستملح من الكذب». كما أنها تطلق على «ما يكذبونه من الأحاديث وعلى كا ما يستملح ويتعجب منه». وكلمة الخرافة مشتقة من مادة «خَ رَ فَ» ومن معانيها فساد العقل من الكبر. أما (خُرافة) فهو اسم علم، وقد ورد في سياقات عديدة منها «حديث خُرافة» ويقال أنه «رجل من بنى عذرة أو من جهينة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه فجرى على ألسنة الناس» وفى رواية أخرى أن «خرافة هو اسم رجل استهوته الجن، فأقام بينهم ما شاء الله ثم عاد إلى قومه فأخذ يحدثهم بالأحاديث الغريبة، فكانوا بعد ذلك كلما سمعوا حكاية أو نادرة أو خبرا فيه من الغرائب قالوا حديث خُرافة. ومنها اشتق الناس خرافة وخرافات لكل ما لا يمكن تصديقه أو لكل خبر مبالغ فيه». (**حسن، 1998، ص 16**). ومن الأمثلة الدالة

على جريان كلمة خُرافة على ألسنة الناس كنوع من الضرب بالأمثال، الحديث النبوى الشريف «خرافة حق» والحديث المروى عن عائشة أنه قال لها حدثينى. قالت ما أحدثك حديث خرافة؟ ومنه البيت المنسوب إلى ديك الجن والذي يعزوه بعضهم ال ابن الزبعرى ومنهم الثعالبى، وينسبه ابن قتيبة إلى أبى نواس، وهذا البيت يقول : حيـاة ثم مـوت ثم حشـر ..حديث خرافة يا أم عمـرو. وللخرافة أيضا صلة بالسمر إذ عرفوا الأسمار بأنها «الخرافات الموضوعة من حديث الليل ». ومن هذا التعريف الأخير نجد أن الخرافة مختلقة اختلاقا وأنها خطاب باطل لا أساس له وأنها نوع من الحكايات كان يُروى ليلاً. **(زعيتر، 2019، ص 37)** وتستخدم كلمة «Fabula » اللاتينية الأصل والتي يقصد بها الخرافة في التعبير عن نفس المعنى الذي استخدمت فيه كلمة «Mythos» والتي يقصد بها الأسطورة، للإشارة إلى قصة خيالية أو خُرافية، وهذا المعنى نفسه موجود في الخرافة الإنجليزية أيضا. فالقصص التي تسرد أحداثا زائفة هي أشبه ما تكون بالخرافة ويمكن أن يطلق عليه (كذبة خرافية). أما القصص التثقيفية والخيالية كالقصص التي كتبها أيسوبوس «Aesop» فيطلق عليها خرافات. وقد يقابل هذا كله الأساطير الأصلية التي لا تُفسر على أنها قصصا خيالية أو غير حقيقية. **(الموسوعة البريطانية، 1986، ص 18)** ولم تكن كلمة موثوس «Muthos» والتي يقصد بها الأسطورة عند اليونان في بداية أمرها، إذا عدنا إلى أصلها الإشتقاقى، سوى كلمة عادية جدا ومعناها الحكاية Récit أو السرد Narration أو ما يُحكى في الأسواق. وكانت تتعلق بنسب الآلهة والأبطال، أو تحكى جملة الأوامر التي يأمر بها الملك أو الإله مثلما كانت تحكيها الطقوس تمثيلاً بالإيماء والإشارة. وكانت تعنى عند أرسطو حبكة الرواية أو بناءها والكلمة التي تقابله عند الفرنسيين الآن هي Fable بمعنى الخرافة.

فكلمة "خُرافة" في لغتنا العربية هي مصدر لفعل خَ،رَ،فَ- أي هو كل حديث مكذوب، كأن نقول هذا رجلٌ خَرِف وهذا يعني أنه رجل يختلق الأحاديث والقصص من نسج خياله. وهي الإعتقاد أو الفكرة القائمة على مجرد تخيلات دون وجود سبب عقلي أو منطقي مبني على العلم والمعرفة والتجربة. وترتبط الخرافات بفُلكلور او مأثور الشعوب في الفرنسية (Contes) والانجليزية (Tales)، حيث أن الخرافة عادة ما تمثل إرثًا تاريخيًا تتناقله الأجيال، بمعنى انها تعني أي معتقد غير عقلاني أو ممارسة لا عقلانية يقوم بها الأشخاص.

وفي الأصّل اللغوي لكلمة خُرافة حسب لسان العرب لابن منظور: "الخُرافةُ الحديثُ المُسْتَمْلَحُ من الكذِب". **(ابن منظور، 2016، ص 476)**. وفي تاج العروس، الخريف أحد فصول السنة.. سُمي خريفا لأنه تخرف فيه الثمار.. أي تجتنى.. قال أبو حنيفة: ليس الخريف في الأصل باسم الفصل.. وإنما هو اسم مطر القيظ.. والخريف: الساقية.. والخريف: الرطب المجني.. وخرف النخل: اجتناه.. ويبدو أن مادة (خرف) تدور

على الري والقطف والا جتناء.. وهذا ليس بعيدا عن معنى الخراريف.. فهي نوع من الري والاجتناء أيضا.. وسمي راوي القصص والشعر كذلك.. لأنه يروي السامع المتعطش إلى السماع. **(عقيلة، 2020، ص 14).**

أنواع الخرافة:

يمكن ان تكون الخرافة دينية أوثقافية أو اجتماعية بحسب منظور واعتقادات الناس الواهية، التي كانت منتشرة قديماً، والتي تتنوع حسب خيالهم وحسب الأحداث التي كانت تقع في زمنهم.

فالخرافة قد تكون حكاية رمزية أو حكايات شعبية بين النّاس أو قصص يرويها كبار السّن لأحفادهم وتوجد هذه الخرافات في مختلف الدول والحضارات. ولم يكن لها زمن تاريخيّ محدد فهي عُرفت على مدى العصور والقرون ومن جيلٍ إلى جيل وتداولها الناس فيما بينهم حتى وصلت إلينا، لذلك هي ليست محددة بزمنٍ معيّن فقد كان لكل زمن خرافات تداولها الناس بين بعضهم البعض، أي أنّها منذ آلاف السنين وما تزال، منها ما هو حيّ إلى الآن لم يمت عبر السنين. ولقد صدقت او ربما اعتقدت الشعوب على مدى العصور بخرافات مختلفة وحكايات عجيبة كانوا يفسرونها إلى الظواهر الطبيعية والخوارق بمفهومهم، مما وّلد عدد غير محدود منها، وتطورت عبر الأجيال مع تطور الزمن والبيئة والمجتمع والظروف.

الخرافة قصة رمزية فهي التي تحمل معانٍ تؤكد على احترام الطبقة الاجتماعية والمكانة وتعمل على تثبيت الوضع الاجتماعي والثقافي القائم وعدم تغييره.

وتكون أيضاً في صورة ترفيهية تروى للكبار والصغار للسمر قبل النوم متضمنةً معانٍ أو نصائح أو تحذيرات، وكذلك تكون الخرافة وعظية ارشادية بحيث تحمل توصيات او تعليمات لاحترام السلطة أو الحاكم. ودينية ايضاً ولربما نجد في كثير من الأديان بما في ذلك الاديان السماوية "خرافات" لا يمكن تصديقها اذا ما تم اخضاعها للعقل والمنطق ونجد هناك صراعاً حول مضمونها ومحتواها من قبل تيارات متعددة.

وهناك الخرافات الحيوانية اذا جاز لنا أن نسميها كذلك وهي تلك التي قيلت على ألسنة الحيوانات وهذا مما لا شك فيه لابعاد التهمة عن بني البشر وذلك لكي يأمن ساردوها من العقاب! وان كانت تحمل في طياتها ارشادات ووعظ وتوصيات، إلا أنها تريد ايصال رسالة ما!

والخرافات الفكاهية او الهزلية وفي الغالب تسرد لأجل التسلية وفي أوقات الفراغ، ويرويها الكبار وترويها الجدات لاحفادهن بقصد التسلية ومحاولة تعليمهم بعض القيم والمبادئ التي تتضمنها تلك الخرافات والحكايات الشعبية. كذلك توسع هذه الخرافات من خيال الاطفال وتكون بمثابة حيل من حيل الدفاع النفسي

وذلك عندما يتصور كل من الاطفال السامعين ويجسدون صورة البطل في أنفسهم او البنات عندما يشعرن بأنهن اميرات القصر، كما في حكاية ساندريلا المشهورة عالميا، او الفتاة (نقارش) المعروفة في المجتمع الليبي.

الخرافة ايضا يمكن أن تكون ثورية بمعنى أنها تحمل معانٍ مضادة لما هو مألوف، كزواج ابن السلطان من راعية اغنام فقيرة، أو جرأة الفقير على حب بنت السلطان ورغبته للزواج منها، فنجد كماً هائلاً من الحكايات التي تؤيد ذلك خياليا وصعوبة حدوث ذلك واقعياً، فتلك الحكاية او الخرافة تحمل معانٍ لأجل تغيير لواقع الذي يعتبره الكثير من العامة مرفوضاً او غير مرغوب فيه لانه يخالف واقعهم البسيط.

وعموماً فإن هذه الحكايات الشعبية او الخراريف تشربنا منها القيم.. فالشرير لابد أن يعاقب في نهاية الحكاية.. والطيب الخيّر ينال ثوابه.."**(عقيلة، 2020، ص 15)**.

تقدم الخرافة قصة لها بداية ونهاية، وهي متكاملة تتميز بالتماسك والبناء، وهي تعتمد على حوادث كبيرة فاصلة، وغالباً ماتكون غريبة ونادرة، والحكاية تمتد طويلاً في الزمان، وتشغل حيزاً كبيراً في المكان، فتتغير فيها المواضع، وتتبدل العهود، ولا تنتهي الحوادث حتى يستقر كل شيء، وتتحقق الاحتمالات والتوقعات كافة، وينال كل ذي حق حقه، بما يرضي الجميع، كانتصار البطل وموت الشرير او زواج الأميرة من الفقير أو الأمير من الفقيرة. وغالباً ما يكون زمان الخرافة أو الحكاية الشعبية هو "قديم الزمان" والمكان في "بلاد بعيدة، فهو مكان غير محدد، وزمان غير محدد. ولربما كان كذلك حتى لا يكون هناك مجالاً للمقارنة أو حتى لا تبتعد الحكاية او الخرافة عن مضمونها المهم وهو توصيل محتواها للسامعين سواء إن كانوا كبار أو صغاراً نساءا أو أطفالاً.

الخرافات أو الخراريف في المجتمع العربي:

ربما نقول بأن المجتمعات المتقدمة مادياً قد تجاوزت الكثير من هذه الثقافات التي تزخر بكم هائل من القصص الخيالية والخرافية، اقصد هنا من ناحية الاعتقاد والتصديق بها. بالمقابل فقد تعددت الخرافات التي آمنت بها المجتمعات العربية على مر العصور، وأعتقد الكثير من أهلها بأنها صواب وتناقلتها الألسن. وتختلف هذه الخرافات من مجتمع عربي إلى آخر لكنها تبقى تحمل ذلك المضمون الغريب صعب أو ربما مستحيل التفسير أو التحليل. ومما لا شك فيه أن الكثير من مجتمعات العالم النامي او المتخلف تعتقد اعتقاداً يصل الى درجة التصديق والدفاع عن الفكرة التي تحملها الخرافة، دون التعقل فيما تحتويه من مضمون ومعنى، وهذا مما لا يشك فيه يعود الى الثقافة الملتصقة بالخرافات التي تحاول تفسير بعض الظواهر دون محاولة تحكيمها مع العقل. هذا ليس قدحاً ي المجتمعات العربية ثقافياً بل تدخلاً سوسيولوجياً ربما نبني ذلك على رؤية اوغست

كونت في قانون التفكير الاجتماعي الذي أسماه قانون الحالات الثلاث والذي يسيطر فيه في كل مرحلة من مراحل التاريخ نوعاً معيناً من التفكير، ابتداءا بالتفكير الديني ثم الميتافيزيقي او الغيبي ثم الوضعي او العلمي. فلربما نصنف أن مرحلة التفكير الغيبي هي التي ساد فيها هذا النوع من الثقافة التي اصبحت تحاول تفسير الاحداث بناءا على امور غيبية وهي مرحلة قد اعتبرها اوغست كونت اقرب الى المرحلة الوضعية او العلمية منها إلى المرحلة الدينية أو اللاهوتية. فتتضمن الخرافة في طياتها تفسيراً لحدث معين او معالجة امراً ما بأشياء غيبية، ولكن مما لا شك فيه أن هناك هدفاً وراء ذلك.

امثلة على بعض الخرافات

من الخرافات عند العرب، تقوم العروس بلصق قطعة من الطين على مدخل بيت الزوجية، فإن التصقت كان فألًا حسناً، وإلا فهو سيئ. وخرافة الغول: والغول كلمة رائجة في المجتمع العربي لوصف وحش خيالي أو فوبيا أسطورية لشيء مفترس، وعادة ما يستخدم هذا المصطلح في قصص الجهال الشعبية أو لوصف كائن مجهول مخيف، وفي العادة اعتادت الأمهات أن يخفن به الأطفال ليخلدوا للنوم مبكراً، حيث يقلنّ لهم الآن سيظهر الغول إذا لم تناموا. والبعبع : وهو ذلك المخلوق الغريب وتخيف به بعض الأمهات أطفالهن . ويقال إن هذا الإسم مشتق من كلمة مصرية قديمة وأنها كانت تطلق على كائن خرافي عند المصريين القدماء. خرافة رمي الملح تم قذف الملح، أو رشقه، فوق الكتف الأيسر، للتخلص من الحظ السيئ وذلك راجع إلى الأسطورة التي تؤمن، بأن الشيطان يقف دائماً مباشرة خلف الأشخاص ورمي الملح في عينه، يلهيه عن التسبب في مشاكل، أو إيقاع الشخص في الخطيئة ويقوم البعض أيضاً برميه في هذه الأيام، إعتقاداً منهم في التخلص من الحظ أو سلوك سيئ. وخرافة قرص العروس ليلة زفافها، حيث تقوم الفتيات بقرص العروس في ليلة زفافها كي يحالفهن الحظ ويلاقين مصير العروس بالزواج. وتعليق حدوة الحصان، أو نجمة بحر، أو حذاء طفل في اماكن كالبيت او الدابة وكذلك السيارات! أما حدوة الحصان فترجع إلى الرومان حيث كانوا يقدسون الخيل، وبالتالي اتخذوا الحدوة رمزاً للتفاؤل والحماية، وهو ما يقارب التقليد الشرقي بوضع الخرز الازرق واعتباره حماية من الحسد، إذ توضع حدوة على الأبواب لجلب الحظ، وتعود هذه العادة إلى قصة تراثية قديمة متوارثة ويرجع **تشارلز باناتي** أصل التعويذة الجالبة للحظ السعيد إلى **دونستان** الذي كان حدّاداً وأصبح فيما بعد اسقفاً لكاتدرائية كانتربيري في عام 959 ميلادية، ففي أحد الأيام جاءه رجل وطلب منه أن يحدي قدميه، مما أثار الشك لدى دوستان بأن السائل هو الشيطان، خاصة وأن له أظلافاً مشقوقة، لذلك فقد أوضح له أن عليه أن يقيده مقيداً إلى الحائط ليستطيع أن ينجز العمل. وعلى نحو متعمد، أنجز دوستان عمله، مكيلاً العذاب والآلام للشيطان،

مما جرّ الأخير لتوسل الرحمة، لرفض دونستان تحريره قبل أن يقوم بإعطاه قسماً صادقاً بأنه لن يدخل قط أي منزل وضعت حدوة الحصان على بابه. **(باناتي، 2003، ص 16)**

أما نجمة البحر .. فهي تدل على الرقم خمسة وكذلك يد فاطمة التي تتوسطها عين جميلة وهي واضحة لإبعاد الحسد، فنجد في بعض المجتمعات العربية يقولون خمسة في عين الحاسد، بمعنى عدد الاصابع بحيث تفقأ هذه العين الحاسدة. ويلعب الإختلاف الثقافي كعاملاً مهماً في تشكيل الأفكار والرُؤى عند الأشخاص ولذلك تجد هذه الرؤية تختلف من بلد إلى آخر. فتجد أنّ طائر البوم نذير شؤم وخراب عند العرّب، وهذا على عكس ما تؤمن به الحضارات الأخرى. حيث طائر البوم يتشاءم العرب منه والذي نسميه شعبياً بـ "البومة"، "الموكة" و"الموك" جمعاً. وهذا منتشر بين قبائل العرب في أصقاع الأرض، ونتيجته مثلاً أن العرب في المغرب إلى عهد قريب كانوا يخرجون خصيصاً لصيد الذئب والبوم. وإذا كان صيد الذئب، وهو حيوان ذو سمعة سيئة لدى العرب إذ يقرن بالغدر، يمكن أن يفسر عملياً بخطره على قطعان الماشية، فإن قتل البوم لا يفسره إلاّ التشاؤم الذي لا يعرف له كثير من الناس أصلاً، ويحاول البعض إيجاد تفسيراً لذلك فيرجع التشاؤم من البوم إلى شكله الذي يميزه بين الطيور، وقبحه المفترض، وهذا ينافي الواقع فهو ليس كذلك ولربما جاء التشاؤم من منظره الغريب نوعاً ما، حيث يختلف عن بقية الطيور أو لأنه يطير في الليل ودون أي صوت لنعومة ريشه أو ربما لصوته المختلف عن أصوات باقي الطيور، وربما حبه المفترض للأطلال والخراب ... إلى آخر ذلك من محاولات التفسير التي لا تفسر شيئاً في واقع الحال، أما لمعرفة أصل هذا التشاؤم، فيجب الرجوع إلى العصر الجاهلي ومعتقدات العرب آنذاك وخرافاتهم، فقد كان منها التشاؤم بالمرئي أو المسموع من الأماكن أو الطيور، ومنه إن صاح طير البوم بالليل عند وقوعه على الدار تشاءم أهلها، وتوقعوا موت أحد منهم، ومنها أيضا أن القتيل تصير روحه بومة وصياحها إنما هو لطلب الثأر من قاتله، وفي ثقافتنا الإسلامية فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطير في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة :"لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" وأضاف مسلم في صحيحه: "ولا نوء ولا غُول". قيل أنه مرَّ طائر يصيح فقال رجل: خير خير، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: "لا خير ولا شر"، أنكر عليه لئلا يعتقد تأثيره. وبعكس ذلك تماماً فالبوم عند الحضارة الغربية في أوروبا ثمة واقع مختلف، لان البوم يعامل كرمز للحكمة والمعرفة، ويعرف بـ "طائر الحكمة"، وفي الثقافة الشعبية الفرنسية عندما يبشر شخصاً ما بأمر مُفرح ومُبشر فيقول (Chouette) وهو ما يطلق من أسماء على طائر البوم. وفي أثينا كانت إلهة الحكمة الإغريقية تحمله دائما على كتفها. ويُعد طائر البوم في ألمانيا أيضاً رمزاً الحكمة وجالباً للحظ، ولهذا تجدّ الفنّ المعاصر الألماني الجديد يستخدم رسومات البومة، ورموزه في جميع أنواع الفنون. وبدأ ينتشر هذا الفنّ بكثرة في جميع أنحاء أوروبا من أجل أن تتلاشى

فكرة التشاؤم من طائر البوم لدى الجيل الجديد من الشباب. ومن أهم الخرافات الأخرى المنتشرة في وطننا العربي وعند الغرب أيضاً هو "جنس المولود"، على أعوام مضت وإلى الآن ما يزال موضوع جنس المولود يشّكل الجدل الأكبر لدى عامة الناس ويبدأ من لحظة اعلان خبر حمل المرأة، فتصبح جميع النساء من حولها بتخمين ما هو جنس المولود ويبدأن بالفنّ الشعبي والأساطير والخرافات لمعرفة جنس المولود. ومن هنا انتشرت هذه الخرافات التي آمنّ بها تلك السيدات، فالأعراض التي تبدو على المرأة الحامل والتي من خلالها يحددن جنس المولود، وذلك بتخمينات غريبة. ومنها التنبؤ بواسطة الملعقة: وهو أن تلقي الحامل بملعقة صغيرة كملعقة الشاي مثلاً من خلال فتحة ثوب الحامل عند صدرها، فاذا كان وجه الملعقة الى الاعلى فان الجنس الجنين انثى وإذا كانت الملعقة مقلوبة أي وجهها إلى الاسفل فإنه سوف يكون ذكراً!

وخرافة وضع الرمل في طريق الزائر وهو خارج من البيت حتى يطأه باقدامه حتى يأمن أهل البيت من عينه او حسده. وخرافة رش السكر على الشئ الجديد الذي اشتراه صاحب البيت كسيارة او دابة او غير ذلك. ولدينا الكثير في مجتمعاتنا العربية من هذه الخرافات التي تروي قصة معينة، وربما قُصد منها نسج هذه الحكايات قصة معينة في وقت معين وظروف معينة وذلك لتأدية وظيفة ما.

الوظيفة السوسيولوجية للخرافة:

مما لا شك فيه ان الثقافة الشعبية في اي مجتمع هي التي تحدد التفكير وتسيطر بذلك على عقول الناس، فلولا وجود مجموعة من الأفراد تصدق هذه الخرافة او الاسطورة التي لا يقبلها المنطق والعقل، لما انتشرت هذه الخرافة وصدقها الناس. فمن الخرافات الشعبية التي تنشر في مجتمع الامارات خرافة (ام الدويس)، والدويس هو تصغير داس وهو المنجل الذي يستخدم في الحصاد، وهي خرافة من الرعب تتحدث عن امرأة جميلة متطيبة بأفضل الأطايب من العطور الجذابة التي تعجب أي إنسان، وتسير بهذه الهيئة في الطرقات، في الأوقات والأماكن التي تستطيع فيها الانفراد بضحية أو ضحيتين، وتقوم بإغواء الضحية، التي غالباً ما تكون من الرجال، وتجعله يتبعها ثم تقطع رأسه بالدويس (المنجل) الذي تحمله. ربما يتضح جلياً أن هذه الخرافة كان لها هدف في حماية الناس من عدم الانجرار وراء شهواتهم، وأيضاً ربما كان لحماية الناس من قطّاع الطرق، الذي ربما كان منتشرا في تلك الفترة، لذلك وجب التنبيه عليهم بحكاية مثل هذه ربما تجعل منهم يأخذوا حذرهم ولا يمشون منفردين. والخوف في حد ذاته سلوك نفسي يعبر عن الابتعاد عن مواضع الخطر، ويجب زرعه في النفوس في احيان معينة لحماية انفسهم من اعتداء الآخرين. وفي ليبيا والمغرب العربي نجد حكاية الغولة تتكرر في اكثر من موضع، تارة اذا ترك الأب أبناءه وحدهم في البيت فيحذرهم منها، ويصر عليهم في التحذير

لدرجة ان الغولة تتمثل في احدى قريباتهم لكي تأكلهم..! هنا تستخدم الخرافة نوعاً من الحماية أو الرقابة الذاتية على الافراد فالويل لهم اذا لم ينتصحوا ويتبعوا ماقاله لهم ابوهم! وهناك حكاية تسمى (عزوز القايلة) أي عجوز الظهيرة وتسمى في المجتمع الجزائري "ستوت" وهي امرأة شمطاء تظهر في وقت القيلولة وتمسك بأي طفل يخرج من البيت في هذا الوقت. وعندما تروى الامهات او الجدات هذه القصص للاطفال يحاولن بذل ما في وسعهن لتقليد بشاعة منظر هذه العجوز وعقابها الشديد... انه جهد يقمن به الامهات لعلهن يرتحن من ضجيج الاولاد في وقت القيلولة بغض النظر عن تنشئة الخوف هذه وما ربما تسببه للحياة النفسية الاجتماعية للاطفال!

وهناك خرافة شبيهة بهذه في مجتمعات الخليج العربي وفي الجزيرة العربية وبعض المجتمعات العربية الأخرى تُعرف بأسماء مختلفة، منها "حمارة القايلة" أو"أم حمار" وفي بعض المجتمعات يُطلق عليها "شيطان القايلة." وحمارة القايلة هذه مخلوق غريب لها رأس وأطراف حمار وجسم آدمي. تُصور على أنها وحش مفترس يأكل الأطفال وقت القيلولة وهي الفترة التي تكون فيها حرارة الجو أعلى ما تكون، وذلك من أجل حثهم على البقاء في المنزل، للإحتماء من خطر التعرض لشمس الظهيرة الحارقة، خاصةً في فصل الصيف، فيقولون لأطفالهم لا تخرجون هذه الفترة وإلا تجيكم حمارة القايلة وتاكلكم. إن تخويف الأطفال من الخروج في وقت الظهيرة، حماية لهؤلاء الأطفال من درجة الحرارة العالية، وعدم إصابتهم بضربات الشمس، ومن جهة أخرى دفعهم إلى الهدوء أو النوم في فترة الظهيرة كي لا يزعجوا الكبار الباحثين عن قيلولة في هذا الوقت للراحة من عناء العمل، ورغم النوايا الطيبة وراء اختراع هذه الأسطورة فإنها على مر عقود في العصور القديمة تحولت «حمارة القايلة» إلى أشهر الوحوش المرعبة في حياة الأطفال وأدخلت في قلوبهم الرعب.

وأضفت الأسطورة الشعبية على حمارة القايلة الكثير من الأوصاف التي تجعل منها كائنا مرعبا للأطفال، وتم ترويج "حمارة القايلة" باعتبارها أحد أشكال الجن، حيث تبدو في نصفها العلوي على هيئة حمار، أما النصف السفلي فتم تصويره على هيئة سيدة عجوز قبيحة الملامح، وكان يتم تبادل النصفين في بعض الاساطير، حيث يكون العلوي على هيئة سيدة عجوز والسفلي على هيئة حمار، بينما تشير بعض الروايات إلى تصوير "حمارة القايلة" على هيئة جسم حمار برأس شيطان وأرجل كلب.

وهناك خرافة (سويدا خصف) وهي معروفة في مجتمعات الخليج العربي وفي الامارات على وجه الخصوص، يتكون اسمها من شقين «سويدا» و«خصف»، أما «سويدا» فهي تصغير لسوداء وترمز إلى سواد التمر المحفوظ، وخصف هو سعف النخل إذا شُغل واصبح وعاءا لحفظ التمر، والاسم وصفي لكينونتها، فهي تمرة سوداء محفوظة في خصف. وتمتاز شخصية «سويدا خصف» بأنها ليست حرة طليقة، كبقية الكائنات

الخرافية، إنما هي مقيدة في المكان الذي توجد فيه أو تنقل إليه. وأهم مكان توجد فيه هو مخازن التمور ومحال بيعها، وبعض البيوت التي كانت في الماضي تحفظ فيها كميات كبيرة من التمر، لذلك ينادى على «سويدا خصف» لمن يحاول دخول مخازن التمر لسرقتها، كما تقول الحكاية الشعبية. ويتضح من هذه الخرافة إذا ما حاولنا البحث عن تأصيل سوسيولوجي لها، فربما يكون الأمر واضحاً كونه لا يتناسب مع المنطق للعقلاء والكبار، ولكن المراد هو حفظ التمور من عبث الأطفال، وخاصة قد كان يمثل التمر في يوم من الأيام أهم المواد الغذائية في تلك المجتمعات.

وهناك أيضاً خرافة شخصية (أبوالسلاسل) التي تشتهر في الامارات وعُمان، وهي تعود لرجل طويل القامة متوحش على هيئة إنسان، وهو مقيد بالسلاسل ويجر ثقلاً حديدياً خلفه، وتقول الرواية بأنه كان عبداً لأحد التجار في امارة الشارقة ، وانه تعرض لأشد أنواع التعذيب على يد مالكه الذي كان يقيده بالسلاسل وقد ربط في نهاية السلاسل "قلولة" كروية من الرصاص لئلا يهرب من مكان سجنه، وبعد موت ذلك التاجر هرب المسكين وهو مقيد بالسلاسل ومصاباً بالجنون. ويُسمى ايضاً بـــ "المْزينْل" بإهمال الألف وقلب الجيم ياءاً[1]، وتعني المزنجل، ويسمى أيضاً "أبو الصناقل" و "المسلسل". ويظهر في أي وقت، وتحديداً في الليل ويستخدم شخصيته المرعبة كثيراً لإخافة الأطفال الذين يرفضون النوم مبكراً وخوفاً عليهم في ذات الوقت من أي مكروه.

وفي المجتمع المصري هناك خرافة (ابو رجل مسلوخة) وهو المعبود المصري القديم "بس" رب المرح والسرور في مصر القديمة، والرب الحامي للطفولة في العصرين اليوناني والروماني، وهو معبود ذو أصل آسيوي، يظهر في معظم حالاته وتماثيله على هيئة "قزم". ولعب دوراً هاماً في مصر القديمة كرب للمرح والسرور.

ظهرت هيئة المعبود "بس" بشكل واضح منذ عصر الدولة الوسطى، إلا أن أقدم هيئة معروفة له ترجع لعصر الدولة القديمة، وإن كانت لا تصور المعبود نفسه، وإنما تمثل (قناع المعبود) الذي جسد شكله في وضع أمامي بلبدة الأسد، فضلا عن وجود إشارات لهيئات مشابهة لهيئة "بس" ذات ملامح أنثوية، مثل الثدي المترهل، والبطن المنتفخة. فضلا عن أنه كان يتسم بصورة أو هيئة هزلية ومريعة في آن واحد، هيئة تجمع ما بين البشرية والحيوانية، وتشيع الضحك والفزع في آن واحد. وقد حمل "بس" كرب حامٍ صفاتٍ شافية خاصة للسيدات الحوامل، كما كان حامياً للنائمين.

[1] كمال غزال، عن موقع https://www.alqabas.com/article/665419 تم الاطلاع بتاريخ 21 يونيو 2022.

وقد مثلت هذه الخرافة رعبا لأجيال متعاقبة في مصر، فبمجرد التلويح به يكف الطفل عن فعله أو طلبه وينفذ ما يؤمر به. والتصورات التي روجتها الصورة الذهنية عن هذا الرجل الذي يأكل الأطفال أو يخطفهم لا زالت حتى يومنا هذا تردد وبشكل كبير.

وفي ثقافة المجتمع المغربي هناك الكثير من الخرافات، والحكايات الملحمية والشخصيات السحرية، وكثيرا ما نجد أن تلك القصص أصبحت تراثاً متوارثاً يكاد يكون قريباً جداً من التصديق إذ أصبحت تلك الخرافات قديمة تمثل التراث الشعبي مثل (عيشة قنديشة) أو سيدة المستنقعات من أكثر شخصيات الجن شعبية في التراث الشعبي المغربي، و يتم تصويرها في شكل عجوز ساحرة شمطاء وحاسدة تقضي مطلق وقتها في حبك الألاعيب لتفريق الأزواج، وهي تبدو مثل امرأة فاتنة الجمال تخفي خلف ملابسها نهدين متدليين وقدمين تشبهان حوافز الماعز أو الجمال أو البغال (بحسب المناطق المغربية). تفتن "عيشة قنديشة" الرجال بجمالها وتستدرجهم إلى وكرها حيث تمارس الجنس معهم، ومن ثم تقتلهم فتتغذى على لحوم ودماء أجسادهم، إلا أنها تخاف من شيء واحد وهو اشتعال النار أمامها، وفي إحدى القصص التي تدور حولها يزعم أن "عيشة قنديشة" اعترضت مرة سبيل رجال كانوا يسكنون القرى فأوشكت على الإيقاع بهم من خلال فتنتها، إلا أنهم استطاعوا النجاة منها خلال قيامهم بحرق عمائمهم أمامها وذلك بعد أن لاحظوا شيئاً فيها يميزها عن بقية النساء وهو أقدامها التي تشبه قوائم الجمل.

ونلاحظ بشكل واضح هنا أن وظيفة هذه الخرافة تتمثل في الحفاظ على البيت او العائلة، وذلك بعدم اتباع أي إمرأة وترك الزوجة او بمعنى آخر إذا لم يحترم الرجل زوجته ويقدرها فسوف يعرض نفسه للخطر، لذلك يجب أن ترى كل أمرأة هي "عيشة قنديشة". وكما في الثقافة المغربية الشعبية ففي كل المجتمعات العربية لدينا الكثير من هذا الخرافات التي تتشابه مع بعضها وتختلف فقط في المسميات التي تنتمي بشكل وثيق بلغة ذلك المجتمع حتى يتم تثبيتها في ذاكرة الناس، فهي تحتوي على التشويق في بعض الأحيان وتكون كقصص تُسرد في المناسبات للتسلية وفي ذات الوقت تؤدي الغرض منها في إيصال الرسالة المهمة التي تتضمنها كحفظ الأطعمة أو تخويف الأطفال أو الحفاظ على البيوت أو الزرع من السرقة. وقد تؤدي وظيفة تربوية وعائلية كما لاحظنا في خرافة أم الدويس التي تأمل من الازواج أو الرجال بشكل عام بعدم إتباع أو الوقوع في شرك أي أمراة لا تربطه معها صلة شرعية أو متفق عليها قيمياً في المجتمع.

ولا شك أن هناك العديد من الخرافات الشعبية في الثقافة العالمية لها دلالات مهمة ايضا مثل تلك التي تمجد الأبطال أو الأشخاص الذين يحملون قيما رائعة وتحمل بين طياتها الحث على الأفعال الخيرة والفضيلة.

وهذا ما يؤكده **فلاديمير بروب** Vladimir Propp، بقوله إن الخرافة "هيكل بنية مركبة ومعقدة يمكن تفكيكها واستنباط العلاقات التي تربط بين مختلف وظائفها في مسار قصصي معين." **(بروب، 1986أ، ص 35)**. حيث نجد دائماً في الخرافة الشعبية التي تتعهد بوظيفة المحافظة على الرزق او النفس، نجد الشخصية الشريرة التي لا تتطابق اوصافها مع المخلوقات الواقعية سواء من البشر او الحيوانات، وكأنهم يريدون القول بأنه لو كانت هذه الاوصاف معروفة لزال الخوف منها، وانها ليست حكراً على الأطفال بل حتى الكبار ايضاً، وهذا ما يجعلنا نرى باستمرار المقالب التي يجريها البعض على البعض الأخر كظهورهم في الليل في هيئات تحاكي هذه الشخصيات الخرافية، مع الأخذ في الاعتبار الجانب الترفيهي لمثل هذه الحكايات في اوقات معينة مثل السمر والمؤانسة.

تحليل ختامي

إنّ هذا التفكير الخرافي سائد في كل المجتمعات، في آسيا وفي امريكا الجنوبية، وفي أوروبا وخاصةً في القرون الوسطى، حيث كان منتشراً بشكل كبير جداً، فمثل هذه المعتقدات ليس خاصية بالمجتمعات العربية فقط، فعندما يكون العقل معطل وعندما لم نتعلم في مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلى رأسها المدرسة، ولم نتمكن من أن نفكر، ولم نُعمل العقل النقدي، ولم نتمكن من أن نتعلم طرح الاسئلة، وأن نبحث عن المعرفة خارج مجموعة من المعتقدات الوهمية، فلا غرابة في أن غياب لتفكير العقلاني، سيقود الكثير من الناس إلى الإيمان بمثل هذه الأفكار وهذه المعتقدات الخرافية.

وإذا ما أسرفنا في تفسير الخرافة وكيف تم انتشارها في مكان وزمان معين، فلابد من القول أن اللجؤ إليها يُعد نوعاً من الهروب وتعويض الإخفاق في مجابهة شيء عجز الناس عن تفسيره، فالأسطورة والتراث المقدس شكلا منطق الخيال الجامح، الذي يستوعب مختلف أشكال الصراع الإنساني، ويدرك رمزيا حقائق الحياة، كان اللجوء إلى توظيفهما هروباً من وضع تاريخي متأزم، إلى عالم خيالي، وفره التراث من قصص وحكايات حول ابطال وملاحم لم نعد نستطيع ان نجسدها في الواقع المُعاش، وربما ما يمكن أن يكون عيبا تعاني منه مجتمعاتنا العربية كثقافة، هو الاستمرار في القطيعة مع الموضوعية، والتمسك بالماضي وقيمه والتباكي عليه والتي لم تعد فاعلة فى عالم اليوم، هذا أدى بالكثير من ثقافتنا العربية في الاستمرار في البحث عن المفقود سواء في المعجزات او الخوارق التي تنقذنا من الاوضاع المزرية.

وتقدم الحكايات أنواعاً كثيرة من الشخصيات، في غنى وتنوع كبيرين، فهي تقدم الأب المغرور والأم العطوف، وزوجة الأب الظالمة، والابنة الوفية، والأخت المشفقة، والأخ الغادر، والزوجة اللعوب، والصديق

الوفي، والجار الغني، والكنة التي تكيد لحماتها، والحماة التي تبغض كنتها، كما تقدم الملك الجائر الظلوم، والسلطان العادل الحكيم، والوزير الذكي الماكر، والنديم الوفي المخلص، وابن الملك الذي يهوى ابنة الوزير، وبنت الملك التي يهواها شحاذ فقير.

وهي تقدم تلك الشخصيات، وغيرها، في توازن وانسجام غريبين، هو توازن الحياة وانسجامها، على الرغم مما يبدو فيها من تناقض واختلاف في الظاهر.

ويلاحظ أن الحكايات تقدم غالباً الشخصيات القلقة المضطربة، ولكنها تنتهي إلى الخلاص مما هي فيه، والتحول إلى الأفضل. وكأنها تقدم حلولاً، ومن ذلك حكاية الملك المغرور، الذي طلب من بناته الثلاث أن تصف كل واحدة منهن حبها له، فتملقت اثنتان منهن غروره تزلفاً له وتطمعاً في امواله ووجاهته، فرضي عنهما، وزوجهما من وزيرين من وزرائه، ورفضت الثالثة أن تتملقه فغضب عليها، وزوجها من راعٍ فقير، فصبرت على الفقر والذل والهوان، ثم ساعدتها الجن، فاصبحت غنية وبنى لها زوجها قصرا، ودعت إليه والدها، فتعرف إليها وعدل عن غروره وكبريائه.

وتقدم الحكايات الشعبية شخصيات غير بشرية كثيرة، ذات دور فريد ومتميز، وغالباً ماتكون وفية للإنسان، مخلصة له، تساعده على الخلاص، حين لا يجد المساعدة عند البشر. ومن تلك الشخصيات السمكة التي تقدم الرزق الوفير للصياد، على شرط أن يطلقها من الشبكة، ويعيدها إلى البحر، والأفعى التي تقدم العون والخير لمن يعينها ويساعدها، والطائر الذي يقدم نفسه للإنسان، كي يذبحه ويصنع من دمه وريشه ولحمه مرهماً يشفي الجراح.

كما تقدم الحكايات الشعبية أيضاً شخصيات بشرية مسخت بفعل السحر وتحولت إلى حيوان أو نبات أو جماد، ولا تنتهي الحكاية، حتى يعود من تمّ مسخه إلى طبيعته الأولى وأفضل ولكن بعد معاناة. ومن تلك الشخصيات أبن السلطان الذي مُسخ طائراً أو حصاناً، والأخ الذي مسخ غزالاً، والأخت التي مسخت هرة، والأخوة الذين مسخوا شجراً، وأهل البلدة الذين مسخوا حجارة.

وتقدم أيضاً شخصيات أخرى غريبة، كالغول والعفريت والمارد والجني، وأكثرها يخدم الإنسان، ويساعده. وتعتمد الحكايات الشعبية على كثير من الأدوات والوسائل التي تحدث في الحكاية التغيير المنشود الذي يكون في نهايتها.

لا شك في أن الكثير من مضمون الخرافات والحكايات الشعبية لا يصدق عند الكثيرين، ولكنه يلقى رواجاً ويكون محل نقاش وجدل عند الأطفال والمراهقين، وكثير من الأميين لتمكُن هذه الثقافة منهم. لذلك فليس من المستغرب أن تكون هذه الحكايات والخرافات كمرجع لهم يلجأون إليها لتفسير كثير من الأمور التي يكتنفها الغموض! أو يستشهدون بها متى دعت الحاجة إلى ذلك.

الهوامش:

ابن منظور، (2016)، لسان العرب، ج 1، دار المعارف، القاهرة.

باناتي، تشارلز، (2003)، قصة العادات والتقاليد واصل الاشياء، ترجمة مروان مسلوب، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، الخُبر.

بروب، فلاديمير، (1986)، مرفولوجيا الخرافة، ترجمة ابراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط.

حسن، الحاج حسين، (1998)، الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

الزبيدي، محمد مرتضى، (1973)، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء 12، تحقيق مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة واففنون والاداب، مطبعة حكومة الكويت.

زعيتر، محمد نادر، (2019)، أساطير الاولين، دار الكتاب العربي دار الحافظ ، حلب.

شعراوى، عبدالمعطى، (1999)، أساطير: إغريقية أساطير الآلهة الصغرى، مكتبة الأنجلو المصرية، 2001.

عبدالحميد، يونس، (1997)، الحكاية الشعبية، شركة الامل للطباعة والنشر، القاهرة.

عجينة، محمد، (1994)، اساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، العربية محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس.

عقيلة، أحمد يوسف، (2008)، خراريف ليبية، مجلس الثقافة العام، طرابلس.

العسكري، أبو هلال (1988)، جمهرة الأمثال، دار الكتاب العلمية، بيروت، ج1. 259562

كيال، منير (1997)، معجم دُرر الكلام في أمثال أهل الشام ، مكتبة لبنان، بيروت.

الموسوعة البريطانية، (1986)، الأسطورة وعلم الأساطير، عبدالناصر محمد نورى عبد القادر، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد.

الميداني، أبو الفضل (2007)، مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، مج 1، ط 2.

اليزيدي، أمين عبد الله محمد حسين، (2005)، الخصائص الفنية في الحكم والأمثال العربية دراسة تحليلية تطبيقية على كتاب مجمع الأمثال للميداني، اطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة النيلين، الخرطوم.